مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: آليات التحول الديمقراطي في أفريقيا
اسم الكاتب: أ.د. جميل مصعب محمود
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/6781
تاريخ الاسترداد: 2025/04/23 00:10 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

آليات التحول الديمقراطي في افريقيا

الاستاذ الدكتور
جميل مصعب محمود(*)
كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد

المقدمة

في الواقع، ان الغرب، ما يزال بالأمس كما اليوم، بحاجة ماسة للثروات الهائلة في أفريقيا من اجل رفاهيته وتقدمه، وان قوة الغرب الحالية يعود الفضل في جزء منها الى إسهام أفريقيا القسري، إسهامها برجالها، وثرواتها الطبيعية، عن طريق العبودية في مرحلة أولى، والاستعمار الأوربي لإفريقيا في مرحلة ثانية، والمتغيرات الدولية (العولمة) في مرحلة ثالثة، وان القارة الأفريقية كافحت وما زالت تكافح من اجل نهضتها وتحقيق حريتها، في عالم وضعت فيه المعايير والقوانين ومراكز القرار خارجها.

وهذا ما جعلها تعيش حالة من(التيه السياسي) في تطور أنظمتها السياسية، من التعددية الحزبية (النخبوية) إبان المرحلة الاستعمارية الأوربية، الى الأخذ بالأحادية الحزبية بعد استقلالها، وبعد المتغيرات الدولية، شهدت القارة الأفريقية ومع مطلع التسعينات تحولا واضحا نحو الديمقراطية، شملت معظم دول القارة حتى اسماها بعض المحللين، (ربيع الديمقراطية في أفريقيا)، ولكن بعد فترة من التطبيق، بدأت النظم السياسية الديمقراطية التي رأت النور تتخبط وواجهت العديد من المحددات، لذا عادت بعض الدكتاتوريات تعشعش من جديد.

وانطلاقا من مقولة (ان الديمقراطية أصبحت كملح الطعام)، هل نرفض الديمقراطية جملة وتفصيلا؟ان هذا فقد أسدينا خدمة للغرب، الذي يقول، ان هذه الأوطان مطبوعة على الاستبداد، أم نقبل الديمقراطية الشكلية الانتقائية والمزاجية المشروطة بالمصلحة الغربية؟ ان هذا ما سيجيب عليه البحث.

ان المشكلة البحثية هي إلقاء ومضات سريعة على (الآليات) التي أخذت بها الشعوب الأفريقية نحو الديمقراطية منذ استعمارها وحتى اليوم.

إما الهدف من هذا البحث، فهو الإجابة عن السوال المركزي التالي: هل ان الشعوب الأفريقية-على ضوء تطور تاريخها السياسي-مع الديمقراطية والحوار أم مع

الاستبداد؟

ومن الجدير بالذكر بأننا سنعمد الى توضيح الآليات التي استخدمتها الشعوب الأفريقية لمواجهة القوى الاستعمارية لنيل حريتها واستقلالها (ونحن استعرنا مصطلح الاستبداد بدلا من الاستعمار للضرورة البحثية). لذا كان المبحث الأول: العنف في مواجهة الاستبداد إما المبحث الثاني: الحوار في مواجهة الاستبداد. والمبحث الثالث : سنوضح فيه الحوار الإفريقي مع العولمة واستجابة الأفارقة (للمشروطية السياسية) وتداعياتها.

المبحث الأول

العنف في مواجهة الاستبداد

تمهيد

نود قبل الإبحار في بحثنا، ان نوضح بعض المصطلحات والتي جاءت في البحث ك(الديمقراطية)، و(الاستبداد)، و(العنف). وما كنا نقصد بها .

الديمقراطية:

ان مصطلح الديمقراطية يرجع في أصله الى الكلمة الفرنسية (demokratia) والى الكلمة الإنكليزية (democracy) وهي مشتقة من الكلمة اليونانية (demokratia)، وهي مركبة من كلمتين هما ديموس (demos) وتعني الشعب، وكارتس (kratas) وتعني الحكم، فالمعنى اللغوي الحرفي لمصطلح ديمقراطية هو اذن (حكم الشعب)[1].

وفي اثينا القديمة حيث ظهر مصطلح (ديمقراطية) كان المقصود به مشاركة كل المواطنين (الديمقراطية المباشرة) وفي العصر الحديث، وبسبب صعوبة ممارسة الديمقراطية المباشرة بسبب الكثافة السكانية لأي بلد من البلدان، لذا اختير ممثلو الشعب كنواب وممثلين ينتخبون بالاقتراع المباشر وهو ما يطلق عليه (الديمقراطية التمثيلية أو النيابية).

الديمقراطية الغربية:

والتي نشأت في الغرب الأوروبي واميركا، ويطلق عليها أيضا الديمقراطية الحرة، فهي ليبرالية معبرة عن الحرية الفردية وتنسجم مع الاقتصاد الحر والجوانب الاجتماعية والثقافية الحرة، وهي تعترف بالحقوق والحريات العامة، وتداول السلطة عبر الانتخابات وفصل السلطات ومراقبة كل منهما للأخرى والالتزام بالدستور ونبذ العنف

[1] محمد محمود ربيع واخرون : الموسوعة السياسية ، دار الوطن ، الكويت ، ١٩٩٤ ، ص٣٩٠.

واحترام الشرعية، وهي ليست واحدة في التطبيق وافضلها تلك التي مطبقه في الدول الاسكندنافية والنمسا وسويسرا[٢].

الديمقراطية الاشتراكية:

والتي طبقها المعسكر الاشتراكي واطلق عليها (الديمقراطية الاجتماعية) من خلال نظام الحزب الواحد، ففي المجتمع الشيوعي الذي كان سائدا في اوربا الشرقية وفي الاتحاد السوفيتي، تزول الطبقات وتزول فيها اي ضرورة لوجود دولة، وان الدولة ما هي الا اداة قهر، وكل الدول ذات طابع دكتاتوري وغير ديمقراطي[٣] هذا ما كانت تؤمن به النظرية الماركسية.

ديمقراطية العالم الثالث:

مع بدايات القرن العشرين الذي تميز بمعارك التحرير والاستقلال في العالم الثالث بدأ مفهوم الديمقراطية في عالم الجنوب، يرتبط بمعنى جديد هو (حق تقرير المصير) بدلا من حق الحكم الذاتي الذي عادة ما يرتبط به، وبعد حصول هذه المناطق المستعمرة على استقلالها اعلنت نفسها نظما شعبية ديمقراطية وربطت ذلك بمضامين اقتصادية واجتماعية مثل مفاهيم القطاع العام والمساواة في التوزيع، وضمان فرص عمل للجميع. ومعظم حكومات العالم الثالث تعتبر ان هذه الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ابلغ دليل على تبنيها نظما ديمقراطية، رغما انها لا تأخذ بالمضامين السياسية للمفهوم مثل نظام الانتخاب القائم على التعدد الحزبي ولا البرلمان النهائي ولا بالحريات السياسية[٤].

المهم في الامر، ان هذه الشعوب والدول كانت تتطلع للتخلص من الاستعمار وهيمنته واستغلاله لما هو تحت الارض وما فوقها ونقصد به الموارد الطبيعية والبشر وهذا ما حدث في افريقيا.

العنف :

بالرغم من تعاريفه المختلفة ، فأننا كنا نقصد به العنف الشرعي، والذي يقصد به استخدام القوة لانتزاع الحقوق او لاقرارها على النحو الذي يرفع الظلم الاجتماعي، ومن

---

[٢] قحطان احمد سليمان: الاساس في العلوم السياسية، دار مجدلاوي، الاردن، ٢٠٠٤، ص٢٨٤

[٣] محمد الفرجاني حصن: افريقيا وتحديات العولمة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠١،ص١٥٧.

[٤] محمد محمود ربيع واخرون، مصدر سابق، ص٣٩٠.

ذلك استعمال القوة لطرد المستعمر او المحتل واستعادة الارض والسيادة [٥]. وهذا ما قام به الافارقه في القرن التاسع عشر وما بعده ضد القوى الاستعمارية الاوربية.

الاستبداد:

بالرغم من انه كمصطلح استعمل من قبل موسوليني لتأكيد سيادة دولة على الفرد، وهو الان مفهوم يطبق على دولة تحاول ممارسة السيطرة التامة على جوانب الحياة كافة على اراضيها ولا يشجع اي تمييز بين العام والخاص، بين السياسي وغير السياسي، ويطبق المفهوم دوما على الدول الحديثة لارتباطه بأستعمال الادوات المتقدمة تقنيا للاتصال الجماهيري والتنظيم والتعبئة والسيطرة، ومن المألوف ان نجد الاستبداد مقترناً مع السعي المنسق لتحقيق اهداف معينة (عقائديه غالبا)[٦].

ونحن قصدنا به مجازا الاستعمار الاوربي لافريقيا، لان الاستعمار بسياساته وتصرفاته لا يختلف عن الاستبداد .الاستعمار كمصطلح في اوسع معانيه هو فرض سيطرة الدولة تتبنى سياسية توسعيه على منطقة جغرافية وسكانها بهدف تحقيق اغراض محددة [٧]. اي بمعنى اخر، ان الاستعمار هو ممارسة دولة لفرض حكمها على دولة اخرى او اقليم اخر غير مجاور او مشابه عرقيا حتما لغرض الحصول على منفعة اقتصادية او الامن العسكري او السمعه الدولية او سعيا لتحقيق هدف عقائدي.

ان توسيع الحكم من هذا النوع يقود الى تأسيس امبراطورية[٨] وهذا ما حدث مع الدول الافريقية عندما استعمرت من قبل الدول الأوربية على رأسها الامبراطورية البريطانية والفرنسية والبلجيكية ...الخ.

العنف في مواجهة الاستبداد:

لمعالجة هذا المحور يتوجب علينا القاء ومضات على تطور التاريخ السياسي في افريقيا من خلال النقاط الاتية: وصول الاسلام الى افريقيا ثم الكشوفات الجغرافية وتداعياتها على القارة ومنها تجارة الرقيق، وبعد ذلك السيطرة الاستعمارية على القارة الافريقية في مؤتمر برلين. ان كل هذه التطورات ساهمت بشكل او بأخر بأستخدام القوة من قبل الافارقة ضد القوى الاستعمارية المستبدة.

---

[٥] جميل مصعب محمود: العنف السياسي في افريقيا، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٢، لسنة ٢٠٠٠، ص٨٠.

[٦] سمير عبد الرحيم الجلبي: المعجم الحديث للتحليل السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٩٩، ص٤٥٦.

[٧] مصطفى عبد اللة خشيم: موسوعة علم العلاقات الدولية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، سرت.

[٨] سمير عبد الرحيم الجلبي، مصدر سابق، ص٢١٠.

الاسلام وافريقيا

ان الاسلام كدين وكحضارة، كان اول مؤثر خارجي على التاريخ الافريقي، وذلك عندما بدأ الفتح العربي لنشر الاسلام في افريقيا في القرن السابع الميلادي. عندما اتجهت جحافل المسلمين نحو شمال افريقيا والتي بدأت بفتح مصر على يد عمرو بن العاص عام ٦٣٩ ميلادية وبعد ذلك اصبحت الغالبية العظمى من سكان شمال القارة، تدين بالاسلام وتتكلم العربية، ولم يتوقف عند المناطق الشمالية من القارة فحسب، بل انتقل الى المناطق التي تقع جنوبها، فوصل الى سواحل نايجريا وأوغندا وشمال شرق زائير وجنوبا بمحاذاة الساحل من موزمبيق ثم امتد الى ساحل شرق افريقيا لمسافة بعيدة الى الجنوب حتى وصل زنجبار ومصب نهر الزمبيري[٩].

وما ان رسخت اسس العقيدة الاسلامية وكتب لها النصر حتى بدأ مواطنون افريقيون من قبائل (البوير) و(النوبة) و(الكال) ومن الافارقة السود بزمام المبادرة وصاروا يدعون الى الاسلام بين مواطنيهم في حركة يغلب عليها الطابع السلمي[١٠]. لا سيما وان طبيعة الزنوج وعادتهم اقرب بكثير الى الاسلام البسيط السمح منهم الى المسيحية المعقدة الغامضة[١١].

وهكذا قامت في الفترة الواقعة مابين القرن العاشر والقرن الثالث عشر امارات اسلامية في مناطق متعددة في افريقيا مثل السنغال وتشاد وموزمبيق والكونغو ومالي وامتدت الى زنجبار وحتى الحبشة [١٢]، وعليه يتضح ان الاسلام انتشر في شمال افريقيا وشرقها ومنطقة الصحراء الكبرى ، بينما انتشر الدين المسيحي في مناطق غرب افريقيا ومناطق في جنوبها بحكم الارساليات التبشرية .

الكشوفات الجغرافية وافريقيا:

كان البرتغاليون هم اول من اكتشف السواحل الافريقية المطلة على المحيطين الاطلسي والهندي . اذ بدأت الكشوفات البرتغالية بنزول الامير (هنري الملاح) بن ملك البرتغال الى مدينة سبته المغربية سنة ١٤١٥ م ومن هذا الموقع استطاع البرتغاليون الدوران حول افريقيا بقيادة (فاسكو دي كاما) والوصول الى شبه القارة الهندية[١٣].

---

[٩] سعد ناجي جواد: التطورات السياسية الحديثة في افريقيا، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١،ص٢١.
[١٠] احمد الجبير: العلاقات العربية الافريقية، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس، ١٩٩٢،ص٢٦ .
[١١] عماد الدين خليل: ماساتنا في افريقيا ، موسوعة الرسالة ، سوريا ، ١٩٧٨، ص٨٣.
[١٢] احمد الجبير: المصدر السابق، ص٢٩.
[١٣] عبد الرزاق مطلك الفهد: دراسات في حركات التحرر في العالم الثالث، منشورات وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل ، ١٩٨٥، ص٤٣.

وبهذا استطاع البرتغاليون السيطرة على جميع السواحل الافريقية، وعند نهاية القرن السادس عشر بدا البرتغاليون يفقدون معظم مستعمراتهم بسبب المنافسة الاوربية، نتيجة للثورة الصناعية وتغير الصراع بين الدول الاوربية من اجل المصالح، هذا مما دفع كل من اسبانيا وفرنسا وهولندا وانكلترا والمانيا.. ألخ للدخول الى افريقيا وبناء محطات تجارية لهم على الساحل الغربي من افريقيا.

وكان وراء هذه الكشوفات جملة اسباب: استراتيجية واقتصادية وتجارية ولكن اهم هذه الاسباب هو نشر الدين المسيحي، وشن الحرب ضد الاسلام والمسلمين في هذه القارة، لا سيما بعد سقوط الدولة العربية في الاندلس. في الجانب الاقتصادية كانت اهداف الاوربيين ذات طابع احتكاري استغلالي الا انه قد جرى تغطيتها بأقنعة مختلفة كالتجارة والتبشير، وقد ساعد هذان العاملان على التغلغل الاوربي في افريقيا بطريقه سلميه بحكم ان المجتمعات الافريقية لم تستطع ان تستوعب الابعاد الاستعمارية للتغلغل الاوربي المبكر الذي رافق حركة الاستكشافات.

وهكذا بدأ الوجود الاوربي الاستعماري لافريقيا وكأنه تجسيد لمنفعه متبادلة وتبادل مشترك اذ يعطي الافارقة منتوجات متوفرة لديهم وتزيد عن حاجاتهم، ويأخذون بضائع اوربية هم بحاجة اليها، مع ان هناك اختلافاً كبيراً بين البضائع الاوربية الرخيصة الثمن، وبين الذهب والعاج الذي يقدمه الافارقه.

ومن الجدير بالذكر ان الافارقة نظروا الى هؤلاء الاوربيين بأنه لا ضير من صداقاتهم وحتى اكرامهم كضيوف، ونظروا للبعثات التبشريه بأنها جاءت لتعليمهم وتطويرهم. بالرغم من ان العديد من هذه البعثات جاءت لنشر الدين المسيحي، الا ان قسما مهما منها جاء لخدمة المصالح الاستعمارية ، فأصبحت وسيلة لاستغلال الشعوب الافريقية، يقول احد الافارقة (يأتي الاوربيون الى افريقيا وبيدهم الانجيل ونحن بيدنا الارض، وبعد فترة يصبح بيدنا الانجيل وهم بيدهم الارض[١٤].

لذا لم يمض وقت طويل حتى ادرك الافارقه ان هؤلاء القادمين الجدد تجار ومبشرون قد خدعوهم، وانهم جاءوا لنهب ثرواتهم واضطهادهم واستغلالهم.

وقد عبر (بيان اروشا) في قوة وبساطه عن واحدة من ابرز الحقائق في التجربة الاستعمارية الاوربية في افريقيا حين ذكر (لقد تعرضنا منهم للاضطهاد على نحو شديد، وواجهنا الاستغلال على نحو شديد، وتم تجاهلنا على نحو شديد[١٥].

---

[١٤] المصدر السابق، ص٤٨.

[١٥] والترودني، ترجمة احمد الصفير: اوربا والتخلف في افريقيا، عالم المعرفة، الكويت، العدد١٣٢، ١٩٩٨، ص٣٠٥.

تجارة الرقيق....

ان من اول المؤثرات التي اثرت على تاريخ افريقيا بعد اتصالها بالاوربيين، هي حركة الكشوفات الجغرافية في القرن الخامس عشر واكتشاف الامريكيتين هي، رواج تجارة الرقيق، وقد شاركت في هذه التجارة (القذرة) جميع القوى الاستعمارية الاوربية بعد ان وجدتها مربحة جدا، وقد ذكرت الاحصاءايات ان عدد الافارقة الذين نقلوا من افريقيا كرقيق الى الامريكيتين بلغ حوالي ٢٧٥,٠٠٠ الف زنجي في عام ١٦٠٠م، ثم قفز هذا الرقم ليصبح في القرن السابع عشر وحده حوالي ١,٣٤٠,٠٠٠مليون افريقي، اما في القرن الثامن عشر فقد وصل عدد الافارقة الذين تم نقلهم خارج اراضيهم الى ٦,٠٥٠,٠٠٠مليون شخص، ثم هبط هذا الرقم في القرن التاسع عشر نتيجة الانتقادات الانسانية والدولية لهذه التجارة الى ١,٩٠٠,٠٠٠مليون افريقي[١٦]. في الوقت الذي تذكر احصاءيات اخرى ان عدد الافارقة الذين نقلو كرقيق قد تجاوز ١٠٠ مليون نسمة خلال ممارسة هذه التجارة. وبهذا الاستنزاف البشري الذي لا مثيل له، والذي قامت به القوى الاستعمارية الاوربية قد افرغت القارة من شبابها.

مؤتمر برلين:

حين كسدت تجارة الرقيق، وجدت القوى الاستعمارية الاوربية ان الفرصة مناسبة لاقتحام القارة والاستيلاء على ثرواتها الطبيعية مباشرة، بعد ان استنفذوا استغلال الثروة البشرية فيها. وكاد التنافس بينهم ان يؤدي الى حرب بين القوى الاستعمارية داخل القارة للسيطرة عليها، خاصة بعد ان سيطرة بلجيكا على نهر وحوض الكونغو والذي يوصل الى داخل افريقيا وكانت تساندها فرنسا بذلك، وبين البرتغال وتدعمها بريطانيا حول نفس المنطقة. وكاد هذا الصراع بين هذه القوى ان يشعل حرب بينهما، لذا دعا (بسمارك) زعيم المانيا انذاك لعقد مؤتمر في برلين وبحضور جميع القوى الاستعمارية الاوربية: بريطانيا، فرنسا، ايطاليا، المانيا، بلجيكا، البرتغال واسبانيا. وهذا ما تم للفترة من ١٥ تشرين الثاني ١٨٨٤م وحتى٣٠ كانون الاول ١٨٨٥م[١٧].

وكان من نتائج هذا المؤتمر الاستحواذ على كل الاراضي الافريقية وبلقنتها، ونهب مواردها وطمس هويتها وثقافتها ومحاربة الاسلام فيها، اضافة الى فرض انظمتها وثقافاتها على الشعوب الافريقية وبسبب هذه التطورات كان رد الفعل الافريقي المقاومة والثورة ضد القوى الاستعمارية الاوربية المستبدة وخاصة من قبل القادة المسلمين والمصلحين الدينين.

---

[١٦] سعد ناجي جواد، المصدر السابق، ص٣٩.
[١٧] المصدر السابق، ص٣٩.

ثورات الجهاد الاسلامي ضد الاستعمار الاوربي :

على ضوء كل ما ذكر يمكننا القول، ان الكشوفات الجغرافية لتجارة الرقيق، ومؤتمر برلين واستعمار افريقيا، ان كل هذه التطورات وتداعياتها، جعلت الشعوب الافريقية امام خيار وحيد وهو استخدام العنف في مواجهة استبداد القوى الاستعمارية، والقيام بثورات ضد المستعمر الغازي، خاصة في المناطق التي تمركزت فيها الحضارة العربية الاسلامية في شمال وشرق وجنوب افريقيا. بعد ان وجد الاستعمار نفسه وجها لوجه امام القوى العربية الاسلامية الافريقية، وهي القوة الاجتماعية المتقدمة التي قاومت الاستعمار، لاسيما وان المشكلة التي واجهت المستعمر هي العقيدة الاسلامية التي ظلت عقبة حقيقية في وجه النشاط التبشيري المسيحي ، وتمثل ثانيا في الثقافية العربية[١٨].

وكان الدور الرائد في هذا المجال ، للقادة المصلحين والمتصوفين الدينيين الافارقة شأنا كبيرا في هذه الحروب والثورات ، والتي عرفت (بحركات الجهاد الاسلامي) في مناطق متعددة من افريقيا، في الوقت الذي كان رد الفعل الاستعماري جارفا ومستخدما في اخماد هذه الثورات احدث ما توصلت اليه من الاسلحة النارية واسلحة الدمار! في حين اعتمد الافريقيون في مواجهة القوى الاستعمارية الغازية الاسلحة البدائية من سيوف وحراب وسهام، منطلقين في ذلك من ايمانهم بعقيدتهم الدينية، وقد سقط العددالكبير من ابناء افريقيا على مذابح الحرية. واهم الثورات التي يمكن الاشارة اليها في هذاالصدد بايجاز هي[١٩]:

اولا: ثورة عثمان بن فوديو (١٨٠٤-١٨١٠م) ضد الاستعمار البريطاني في نيجيريا.

ثانيا: ثورة محمد احمد المهدي في السودان (١٨٨١-١٨٩٨م) وهي ثورة ضد الاستعمار البريطاني فقد استطاع المهدي اقامت دولة سودانية مستقلة تحكم بالشريعة الاسلامية لمدة ١٣ عاما تولى فيها الحكم خليفة المهدي الخليفة عبد الله محمد، وفي النهاية استطاعت بريطانيا من القضاء على الثورة.

ثالثا: الثورة العربية (١٨٧٩ - ١٨٨٤م) وهي ثورة عسكرية قادها احمد عرابي في مصر ضد البريطانيين.

---

[١٨] محي الدين صابر: العرب وافريقيا، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٠.

[١٩] انظر في ها المجال كل من: فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ١٩٩٧، ص١٠٠وما بعدها. انظر ايضا،محي الدين صابر: مصدر سابق، ص٤٠. انظر ايضا، سعد ناجي جواد، مصدر سابق، ص٢٤.

رابعا: ثورة حميد بن محمد المرجبي (١٨٨٧-١٨٩٠م) وهو عربي من منطقة عمان توغل في اواسط افريقيا، في منطقة الكونغو، واوقف الزحف البلجيكي الى اعالي نهر النيل، واستطاعت بلجيكا من تصفيته بعد معارك طويلة .

خامسا : ثورة عبد القادر الجزائري (١٨٣٢ - ١٨٤٣م) ضد الاستعمار الفرنسي، وانتهت هذه الثورة باسر الامير عبد القادر ونفيه.

سادسا: ثورة رابح فضل الله او (رابح الزبير) (١٨٩٣ - ١٩٠٠م) وهو من بقايا جيش سليمان الزبير من السودان الشرقي، لجأ الى منطقة تشاد فرارا من الاستعمار البريطاني المتعاون مع الاتراك واقام هناك مملكة قوية في (برنو)، حيث توحدت فيها القبائل الافريقية في اطار اسلامي، وقاوم الاستعمار الفرنسي حتى اغتيل عام ١٩٠٠م في معركة لامي الشهيرة.

سابعا: ثورة ماجلي ماجي وابو شيري (١٨٩٤-١٩٠٥م) ضد الاستعمار الالماني في منطقة تنجانيقا وقد وقعت عدة معارك بين الجانبين الا ان الالمان استطاعو تصفية هذه الثورات عسكريا.

ثامنا: ثورة السطان علي دينار بن زكريا (١٩٠٠-١٩١٦م) وهو احد الامراء في دولة المهدية رجع الى غرب السودان بعد سقوط المهدية اقام دولة اسلامية هي دولة الفور الاسلامية وقد اوجد علاقات حميمة مع الدول الافريقية المجاورة له وقد ادرك الاستعمار خطورته فشن عليه عدة حملات عسكرية متتالية وقضى عليه.

تاسعا: ثورة ماء العينين (١٩٠٠-١٩٢٠) ضد الاستعمار الفرنسي وقد وقعت احداثها في موريتانيا، وقد استعمل الفرنسيون جميع اسلحتهم من اجل ابادتها، وقد استمرت الثورة بعد مقتل الشيخ ماء العينين حين قادها ابنه محمد الذي قتل هو الاخر من الفرنسين، واقامو حكما عسكريا صارما في موريتانيا.

عاشرا: ثورة عبد الكريم الخطابي (١٩١٠-١٩٢١) وقد قام بهذه الثورة في منطقة المغرب، فيما اصبح يعرف فيما بعد بمنطقة (الريف الاسباني)، وقد استطاع عبد الكريم تكوين دويلة مستقلة في منطقة الريف عاصمتها (اغادير)، وقد تعاون الاستعمار الاسباني والفرنسي في القضاء على هذه الدويلة، وقبض على عبد الكريم بعد هزيمة قواته، ونفي الى جزيرة (رينيون).

احدى عشر: ثورة احمد الشريف السنوسي (١٩٢٠-١٩٣١) وثورة عمر المختار (١٩٢٢-١٩٣١) وهما ثورتان مكملتان لبعضهما البعض، قامتا في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي، وقد انتهتا بنفي الاول الى تركيا، واعدام الشيخ عمر المختار، وهما من اقوى الثورات التي وقعت ضد الاستعمار الايطالي.

اثنا عشر: ثورة الجزائر: (١٨٣٠-١٩٥٩) خضعت الجزائر للاحتلال الفرنسي اكثر من قرن من الزمن، وقدمت اكثر من مليون شهيد من اجل نيل الاستقلال، بعد ان تبنت الكفاح المسلح. وبالرغم من ان العديد من الدول الافريقية، لم تؤيد الشعب الجزائري في البداية، الا ان العديد من الدول الافريقية ايقنت بان سبيلها الوحيد للاستقلال هو استخدام العنف الشرعي (الكفاح المسلح)، فبعد الجزائر ثارت الكونغو الديمقراطية ضد بلجيكا، وكل من غينيا بيساو وانغولا وموزمبيق ضد البرتغال، ثم تطور الامر فشملت الثورة المسلحة دول الاقليات البيضاء، في زيمبابوي وناميبيا. وان اسلوب الكفاح المسلح ابطل ادعاءات استعمارية كثيرة واكد حقائق هامة بالنسبة لافريقيا اهمها[٢٠]:

١. رفض الشعوب الافريقية ادعاء الدول الاستعمار لتبعية اراضي افريقية لها كما اوحت كل من فرنسا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا.

٢. رفض تكرار ماساة انفراد المستوطنين بحكم الشعوب التي عاشوا وسطها.

٣. عجز الدول الاستعمارية بكل ما تمتلكه من قوة وتقدم في المجال العسكري من اخضاع الشعوب او قهر ارادتها في التحرر والاستقلال.

ومن خلال ما ذكر، يتضح ان الكشوفات الجغرافية وتجارة الرقيق ومؤتمر برلين، ادت الى تداعيات على القارة الافريقية من ظلم واضطهاد واستغلال واستبداد ومحاربة الاسلام والمسلمين، كل ذلك ادى الى اشتعال الثورات التي قادها الافارقة المسلمون، ضد القوى الاستعمارية الاوربية للحفاظ على قيمهم ومبادئهم والدفاع عن دينهم وحرياتهم.

---

[٢٠] سعد ناجي جواد، مصدر سابق، ص٢٠.

المبحث الثاني

الحوار في مواجهة الاستبداد

بعد موتمر برلين، تم تقطيع القارة الى اجزاء بين الدول الاستعمارية الاوربية، وربط كل منها بالدولة (الام)، لابل واصبحت جزءاً تابع لها في كل شي، حيث قام المستعمرون الاوربيون، انظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في افريقيا بناء على فرضية الفراغ السياسي[٢١].

وبهذا فقد عاش الافارقة (داخل القارة وخارجها) تحت هيمنة اجنبية استعمارية، وعانو خلالها من الاستغلال الاقتصادي والاضطهاد السياسي والتهميش الاجتماعي والتميز العنصري . وان الافارقة الذين تقلوا الى انكلترة وجزر الهند الغربية وامريكا وفرنسا، من غرب افريقيا. وعاشوا هناك لفترة من الزمن، نجد ان ابنائهم الذين حصلوا على التحصيل العلمي-وعانوا من الاضطهاد والتميز العنصري-هم الذين قادوا الحركة الوطنية للدفاع عن حقوقهم وعن شعوب القارة من خلال شعار (الجامعة الافريقية والوحدة الافريقية)، من هذه المناطق، مستخدمين الاساليب السياسية والحوارية للتعبير عن معانتهم وطموحاتهم وانشدادهم الى قارتهم ومناطقهم التي نقل اجدادهم منها، خاصة وان افريقيا الغربية كان يتعذر عليها مقاومة السياسة البريطانية والفرنسية، ففرنسا ترى ان الافريقيين في مستعراتهم يمكنهم الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية اذا قبلوا الدخول في نطاق الجماعة الفرنسية (الفرانكفونية)، وبريطانيا ترى ان الافريقيين يمكنهم الحصول على حقوقهم السياسية في نطاق دول (الكومنولث البريطاني)[٢٢].

وجدير بالذكر ان معظم زعماء غرب افريقيا قضوا حيانهم وهم يتلقون العلم في الجامعات الاوربية وامريكا فتاثر بعضهم بالفكر (الليبرالي) الحر، وتاثر القسم الاخر من درسوا في فرنسا بالافكار (الاشتراكية) كما تاثروا بفكرة العودة الى الجذور واحياء التراث الافريقي، بل والاعتزاز بلونهم الاسود وعاداتهم الافريقية.

تلكم هي بدايات فكرة الوحدة الافريقية ، الفكرة التي نشات خارج افريقيا، والتي قادها وامن بها من هم خارج افريقيا، والذين عقدوا عدة اجتماعات للفترة من ١٩٠٠ الى ١٩٤٥، مستخدمين اسلوب الحوار مع القوى الاستعمارية الاوربية وهم كل من المحامي الزنجي (هنري سيلفستر وليامز) وهو من ترينداد، والذي دعى الى اول مؤتمر للوحدة

---

[٢١] علي المنتصر فرفر: افريقيا،قضايا ومشكلات وطموحات، منشورات المركز العالمي للدراسات والابحاث للكتاب الاخضر، طرابلس، ٢٠٠٣، ص٦٥.

[٢٢] فيصل محمد موسى: المصدر السابق، ص١٩١.

الافريقية، وطالب بحق المساوة، ووضع حدا لاضطهاد السود، واستيطان اراضيهم في افريقيا، ودعا جميع الاحرار ذوي الاصل الافريقي الى التجمع ضمانا لحقوقهم[٢٣].

والمفكر الزنجي الشهير (هنري سيلفستر ديبوا)، الذي ولد في (ماساشوستس) في امريكا ودرس هناك حتى تخرج من جامعة هارفرد حاصلا على شهادة الدكتوراه عام ١٨٩٥، وكانت اطروحته حول تحريم تجارة العبيد في الولايات المتحدة الامريكية، وهو الذي انشأ (الجمعية الوطنية لتحسين اوضاع الملونين) وكان المحرك الاساسي للمؤتمرات الافريقية من خلال ايمانه بقضية الوحدة الافريقية والنضال لتحرير البلدان الافريقية من الاستعمار[٢٤].

و(ماركوس كارفي) الذي ولد في جامايكا، والذي تاثر بالافكار الفاشية التي برزت خلال فترة ما بين الحربين، اضافة الى ايمانه بما يعانيه الافارقة خارج افريقيا وكذلك الافريقيون داخل بلدانهم، مما دعاه الى ان يسال (اين حكومة الرجل الاسود، واين هي مملكته..؟ اين رئيسه وبلاده وسفيره ورجاله وجيشه؟؟ انني لم اعثر عليهم، ولذا يمكن انني ساعمل على خلقهم[٢٥].

(وجورج بادمور) الذي مثل الجناح اليساري في الحركة الوطنية الافريقية[٢٦]. ويعتبر هولاء هم قادة الحركة الوطنية الافريقية في بداية القرن العشرين، وجميعهم من خارج افريقيا كما ذكرنا، وكان شاغلهم الاساس هي فكرة (القومية الافريقية والوحدة الافريقية).

هذا ما حفزهم لعقد مؤتمر تمهيدي شامل للحركة الوطنية والقومية الافريقية، ففي ايلول ١٩٠٠ تمكن(هنري وليامز)من تاسيس(African association)واتخذ لندن مقرا لها.

وكان اهداف هذه الرابطة هي:

١. تنشيط الشعور بالوحدة ما بين الافارقة.

٢. تنشيط المناقشات والمداولات الاخوية ما بين الافارقة .

٣. تنمية وحماية مصالح كل الذين يرجعون الى اصل افريقي وخاصة في بريطانيا ومستعمراتها عن طريق نشر المعلومات الصحيحة عن كل المواضيع التي تهم

---

٢٣ امين اسبر: مسيرة الوحدة الافريقية، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص١٨.

٢٤ سعد ناجي جواد، مصدر سابق، ص ٤٣.

٢٥ امين اسبر، المصدر السابق، ١٩.

٢٦ عبد الرزاق مطلك الفهد، مصدر سابق، ص٥٤.

حقوقهم وامتيازاتهم[٢٧]. واخذت هذه الرابطة على عاتقها مهمة توحيد الكلمة الافريقية.

اولا: المؤتمر الافريقي الاول، والذي عقد في باريس عام ١٩١٩ للفترة من ٢٣--٢٥ تموز وحضره ٥٧ مندوبا، اما اهم القرارات التي توصل اليها المؤتمر فكانت مطالبة المجتمع الدولي وعصبة الامم بالاشراف على افريقيا والشعوب ذات الاصل الافريقي والعمل على تحسين مستوى معيشتهم عن طريق:

أ. العمل على تحرير العبيد وتخليصهم من التعذيب الجماعي والعمل الاجباري

ب. فتح الطريق امام العبيد للحصول على الثقافات الحديثة

ج. منع ترحيل العبيد او استغلالهم اقتصاديا ٢- السماح للأفارقة بالمشاركة في حكم دولهم عندما يسمح لهم بذلك وبصورة تدريجيا من قبل الافارقة ورضاهم[٢٨].

ثانيا: المؤتمر الافريقي الثاني والذي عقد في لندن عام ١٩٢١ ، وقد ظهر فيه تياران احدهم يدعو اليه (ديبوا) هو تيار معتدل الثاني مثله (ماركوس كارفي) الزنجي الافريقي، والذي كان يدعو لعودة الافارقة الى افريقية (والتمسك بزنجيتهم). وقد حظر هذا المؤتمر ١١٣ مندوبا، وطالب المؤتمر بتشريع القوانين العادلة التي تساوي بين الافارقة والبيض في المستعمرات، وان تنشئ عصبة الامم المتحدة مكتباً دائما مهمته الخاصة الاشراف على تنفيذ هذه القوانين لصالح الوطنيين، والسماح للأقارفة بالعمل في لجان الانتداب[٢٩].

ثالثا المؤتمر الافريقي الثالث: والذي عقد في لندن عام ١٩٢٣ بقيادة (ديبوا) ايضا. وكان اهم مطلب سياسي لهذا المؤتمر هو (ان يكون للأفارقة صوت في حكومات بلادهم).

رابعا: المؤتمر الافريقي الرابع: عام ١٩٢٧، والذي عقد في نيويورك وحضره ٢٠٨ مندوبا وشهد هذا المؤتمر صراعا بين الاتجاهات الفكرية واليسارية المختلفة وكان كل فريق منهم يتهم الفريق الاخر بالانتهازية. وفي تقييم نهائي لهذه المؤتمرات الاربعة، يمكن القول بانها لم تستطع اتخاذ قرارات هامة باشان استقرار افريقيا وتحررها، ولكنها استطاعت ايصال الصوت الافريقي الى كافة انحاء العالم عن طريق الحوار السياسي.

---

[٢٧] نفس المصدر، ص٥٥.

[٢٨] فيصل محمد موسى: مصدر سابق، ص٢٩٣.

[٢٩] سعد ناجي جواد: مصدر سابق، ص٥٢.

خامسا : المؤتمر الافريقي الخامس، والذي عقد في مانجستر عام ١٩٤٥، وحضره ٩٠ مندوبا و ١١ مراقبا يمثلون جميع الاتجاهات الفكرية في حركة الجامعة الافريقية، وكان وارء نجاح هذا المؤتمر عوامل داخلية وخارجية، وحضر المؤتمر علاوة على الافارقة من امريكا واوروبا افارقة من ساكني الارض الافريقية منهم الزعيم المعروف (كوامي نيكروما) و (جومو كينياتا) وقد صدر عن هذا المؤتمر عدة قرارات منها شعار (افريقا للأفريقيين) ودعا هذا المؤتمر الى دعم شعوب تونس والجزائر ومراكش وليبيا والسودان في الاستقلال والحكم الديمقراطي، كما ناقش المؤتمر مشكلة الاقليات البيضاء في افريقيا وطالب بألغاء التفرقة العنصرية، واكد المؤتمر بان الشعوب الافريقية ستستخدم اللا عنف في سبيل الوصول الى اهدافها ووضع احتمال تغيير هذا الاسلوب كلما تعدت الحاجة الى ذلك[٣٠].

وقد حلل المؤتمر المذكور ايضا الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في افريقيا نتيجة تواجد الاستعمار على ارضه، وطالب بالحكم الذاتي، والاستقلال لافريقيا السوداء، (الى المدى الذي تستطيع الجماعات والشعوب في هذا العالم الواحد المقبل على وحدة او اتحاد فدرالي عالميين، لامندوحه عنهما، ان تحكم نفسها). واستنكر (احتكار راس المال وسيطرة الثروة والصناعة التي تقوم على الربح الخاص فحسب). ورحب (بالديمقراطية الاقتصادية بصفتها الديمقراطية الصحيحة والوحيدة)[٣١]. على اية حال، ان مقررات هذا المؤتمر تعتبر طفرة نوعية في حياة افريقا والافريقيين لأنه بعد فترة من الزمن نلاحظ ان القيادات الافريقية الشابة التي شاركت في هذا المؤتمر هي التي قادة الحركة الوطنية الافرقية في بلادها نحو الاستقلال.

ولقد كان لثورة مصر الناصرية دور اساسي في دعم حركات الاستقلال الافريقية اضافة الى دور الاحزاب السياسية والنقابات الافريقية والمؤتمرات الشعبية والتي تجسدت بظهور منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣.

وقد حصلت الدول الافريقية على استقلالها بصيغ مختلفة، فقسم منها حصل على استقلاله عن طريق التفاوض من القوى الاستعمارية ، كما هو الحال في السنغال وساحل العاج ونيجيريا. والقسم الاخر حصل على استقلاله عن طريق الانتفاضات الشعبية مثل غانا وتنزانيا وسيراليون وغامبيا التي كانت خاضعة للاستعمار البريطاني، وكل من غينيا وتونس والمغرب من الاستعمار الفرنسي. اما القسم الثالث فقد حصل على استقلاله عن طريق الكفاح المسلح كالجزائر وموزمبيق وزامبيا، وهذا ما اشرنا اليه في المبحث السابق.

---

[٣٠] المصدر السابق، ص ص٥٧ -٥٨.

[٣١] امين اسبر: مصدر سابق، ص٢١.

وبعد فورة الاستقلال للعديد من الدول الافريقية في ستينيات القرن الماضي ، نجد ان اغلبها تبنت نظام الحزب الواحد، وكان الدافع وراء هذا التوجه جملة اسباب اهمها:

١. فشل نظم التعددية الحزبية او (النخب الحزبية)، والذي كان مطبقا ابان مرحلة الاستعمار الاوربي في افريقيا.

٢. ان الحزب الواحد سيساهم في التماسك الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنية، خاصة وان القارة الافريقية تعيش حالة موزائكية وفيسيفسائية من الاعراق والقبائل والاثنيات واللغات والديانات المختلفة.

٣. ان الحزب الواحد سيسرع في التنمية الاقتصادية، لاسيما وان القارة الافريقية بحاجة ماسة الى التقدم في هذا المضمار للتخلص من الفقر.

٤. ان هذا التوجه سيدعم الاستقلال السياسي والاقتصادي والتقدم والديمقراطية للتخلص من الفقر والجوع والمرض والتخلف والتبعية والتفتيت.

٥. ان نموذج الاتحاد السوفيتي والافكار الماركسية، والتي نقلت المجتمع المتخلف الى مجتمع متقدم ومتطور اقتصاديا وزراعيا، اصبح نموذجا يحتذى به من قبل القادة الافارقة.

على اية حال، ان الشعوب الافريقية وجدت نفسها بعد اكثر من نصف قرن من فورة الاستقلال السياسي، وتبني نظام الحزب الواحد، امام حالة من تكريس التخلف والتبعية والحروب الاهلية والمديونية الخارجية والانقلابات العسكرية وعدم الاستقرار السياسي.

المبحث الثالث

الحوار الافريقي مع العولمة

مفهوم العولمة

قبل الحديث عن العولمة وتداعياتها على العالم وافريقيا، علينا ان نذكر حقيقتين اساسيتين، اولهما، ان العولمة هي ليست ولادة عصرنا الحديث، لقد مرت بعدة مراحل تاريخية وبواكيرها الاولى تعود للاستكشافات الجغرافية في القرن الخامس عشر، والاصلاحات الدينية في القرن السادس عشر، والماركنتيلية الاقتصادية في القرن السادس عشر، والثورة القانونية والسياسية في القرن الثامن عشر، والثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، والثورة التكنولوجية في القرن العشرين، والعولمة الكونية في القرن الحادي والعشرين[٣٢].

وبناءا على هذه التطورات فقد صاغ (روبرتسون) نموذجه من خلال تعقب البعد الزمني التاريخي للمراحل الاتية: المرحلة الجنينية، مرحلة النشوء، مرحلة التطور، مرحلة الانطلاق، الصراع من اجل الهيمنة، مرحلة عدم اليقين[٣٣].

الحقيقة الثانية ان ايجاد تعريف للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرا الى تعدد تعريفاتها، والتي تتأثر اساسا بأنحيازات الباحثين الايديولوجية، واتجاهاتهم ازاء العولمة رفضا او قبولا.

وتظهر العولمة كمفهوم في ادبيات العلوم الاجتماعية الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة. ولكن العولمة ليست محض مفهوم مجرد، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها بأستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال [٣٤].

وهناك العديد من الاوصاف قد اطلقت على العولمة، من انها تعمل على (تعسيم النظام الرأسمالي)، وهي (الامبريالية الجديدة)، وماهي الا (الاستعمار الجديد) وهدفها (تغريبب العالم) وقسم اقرنها (بالامركة)، او (انها مجرد غطاء لتحقيق المزيد من تنامي الرأسمالية وتوليد هيمنة متزايدة تخدم في المقام الاول مصالح القوى الكبرى وعلى رئسها الولايات المتحدة الاميركية).

---

[٣٢] محمد الفرجاني حصن: مصدر سابق ، ص٥٤.

[٣٣] السيد يسين: في مفهوم العولمة ، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨، ص١١.

[٣٤] نفس المصدر، ص ٦.

ان العولمة السياسية تعني سقوط الشمولية والسلطوية والاحادية الحزبية والنزوع الى الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الانسان. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل هناك نظرية وحيدة للديمقراطية هي الديمقراطية الغربية؟ ام ان هناك سياقات اخرى متأثرة بالخصوصية السياسية والثقافية والاجتماعية لمجتمعات العالم؟.

والعولمة الاقتصادية ماهي الا اندماج سوق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية، وانحسار سيادة الدولة والعنصر الاساسي هي الشركات متعددة الجنسيات[٣٥] وهذا يعني، ان عولمة الاقتصاد هي عولمة السوق وهيمنة الدول المتقدمة على العالم.

والعولمة الثقافية ماهي الا الانتقال من الثقافات الوطنية والقومية الى الثقافة العالمية وهذا سيهدد هويات المجتمعات المعاصرة وسيشكل (اغتصاب ثقافي).

اما عولمة التقانة فتعني سرعة الاتصالات والمواصلات ، وجعلت شعوب (العالم الجديد) على كوكب شبه (بقرية كونية صغيرة) ولكنها قرية قبلية اقطاعية جديدة.

والعولمة الاجتماعية تعني تكثيف العلاقات الاجتماعية الممتدة على نطاق العالم، بحيث ان الاحداث المحلية تكيفها احداث تصدر على بعد اميال عديدة وكذلك العكس وذلك نظرا لتقدم وسائل الاتصال والتكنلوجيا الحديثة. وهذا التوجه يعمل على افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ويدفع الى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاامة، واللادولة، او يفرقهم في اتون الحرب الاهلية[٣٦].

على اية حال، لقد اصبح العالم بفعل العولمة (قرية كونية صغيرة) وبما ان افريقيا هي جزء من هذا العالم، فلا بد ان تتاثر بتجليات العولمة في النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وانطلاقا من مقولة ان العولمة تشبة قاطرة مسرعه لا تعبأ بمصير من تخلف عنوة او فاته القطار!

سنطرح هنا عدة اسئلة منها: هل الافارقة سيركبون هذا القطار ام لا؟ وفي اي عربة سيركبون؟ وفي اي محطة سيكون مقصدهم؟ وهل هم قادرون على التفاعل والحوار مع هذه العولمة وركوب هذا القطار ام لا؟ الواقع يبدو ان الافارقة منقسمون الى، متحمس للعولمة والقسم الاخر معارض.

---

[٣٥] مجدي حماد : ندوة (العرب والعولمة)، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨،ص١٧٢

[٣٦] محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية عشرة اطروحات، مجلة المستقبل العربي، العدد، ٢٢٨، لسنة ١٩٩٨، ص١٩.

المتحمسون يؤكدون بأن العولمة هي ظاهرة حتمية لا بد منها، ولا يمكن تجاهلها، وانها تمثل فرصة استثنائية اذا تم استغلالها، ويمكنها اخراج المجتمعات الافريقية من حالة الاستبداد والقهر والتخلف، الى حالة من التنمية الاقتصادية والتصنيع، وسرعة الاتصالات والكفاءة الاقتصادية والديمقراطية والحريات وحقوق الانسان.

اما المعارضون، فيجدون بالعولمة بانها اداة جديدة للهيمنة الدولية، وان الولايات المتحدة الامريكية هي الفاعل الرئيسي في هذه العملية، وتسعى من خلالها الى(امركة العالم) تحت ستار العولمة، وان العديد من الافارقة غير متفائلين لمستقبل افريقيا مع تنامي فجوة التقانه والمعلوماتية بين الدول الافريقية والعالم، بحيث قد لاتملك افريقيا خيارا سوى (الخبرة) الاجنبية و(التقليد) وقبول (التبعية) لمقابلة تبعات العولمة وتحدياتها والاخذ بالاقتصاد المشبع بالتقنية الرقمية والثقافة الغربية وتتم قراءة كل ذلك في اطار العولمة والثورة الاقتصادية التي تسعى لغرض اقتصاد السوق وقوة السوق وتحرير الاقتصاد من تدخل الدولة، والعولمة كموجة روحية فكرية تسعى لتحرير الاخلاق من تدخل السلطات والقانون وضوابط الدين فيما تسمى (الليبرالية الاجتماعية) وتحرير السيادة من حماية الدولة في ظل الحروب الاهلية والكوارث الانسانية بحيث تصبح التدخلات في نظم الدولة القهرية مشروعة من قبل الدولة المهيمنة، ولو كانت العولمة مجرد موجه انسانية غير موطرة ربما كان في الامكان احسان الظن فيها ولكن مشكلة العولمة تكمن في العقل الذي يقف وراءها وهو عقل (الدولة العالمية) التي تشكل وتدفعها اشواق ورؤى مادية وصهيونية[٣٧].

وعلى ضوء ما تقدم نحن امام خيارين ، الاول مؤمن وقابل للعولمة من دون تحفظات باعتبارها هي لغة العصر القادم، وهي اتجاهات تتجاهل السلبيات الخطيرة لبعض جوانب العولمة. والاتجاه الاخر يرفضها بالكامل ولكن هل يمكن لهذا التوجه ان يقف ضد مسار التاريخ.

من اجل حل هذه الاشكالية بين المتحمسين والرافضين، هناك رؤية اخرى تتمثل بتبني الاتجاه (النقدي) والذي من خلاله يمكن فهم القوانيين الحاكمة للعولمة، والاستفادة منها بما يتلاءم مع واقعنا وقيمنا وثقافتنا...الخ، وليس ملزمين باتباع طروحاتها كما يريده الاخرون منا، بعبارة ادق ليس المواجهة مع العولمة ورفضها كليا، ولا الانصياع لها كليا[٣٨]، بل انما التفاعل الحي والخلاق معها من خلال المصلحة والاعتماد المتبادل، من خلال مقولة (لاافراط ولا تفريط).

---

[٣٧] عبد العظيم محمود حنفي: النيباد والتحول الديمقراطي في افريقيا، الانترنيت، http;\\www.ahram.org.

[٣٨] السيد يسين : مصدر سابق ، ص١٣ .

وفيما يخص موضوعنا، فان تركيزنا سينصب على الجانب السياسي للعولمة، وبدرجة اقل على الجانب الاقتصادي، بالرغم من قناعتنا الاكيدة بوجود علاقة صميمية بينهما.

ان العولمة في الدول المتقدمة تعني في المقام الاول الديمقراطية الحرة واقتصاد السوق، فان الدول النامية عليها ان تتاقلم مع هذه المتغيرات او ان تواجه خطر التهميش، لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك امبراطوريته. وسبق وان ذكرنا بان العولمة السياسية تعني الديمقراطية والتعددية الحزبية واحترام حقوق الانسان.

العولمة وتدعياتها على افريقيا:

شهدت القارة الافريقية خلال عقد التسعينات تحولا واضحا نحو الديمقراطية حتى اسماها البعض (ربيع الديمقراطية في افريقيا)، وكان وراء هذه التحولات مجموعة من الاسباب، بعضها يعود الى البيئة الداخلية للنظم السياسية الافريقية، وبالذات نظم الحزب الواحد، الذي اخذت به العديد من الدول الافريقية في فترة الحرب الباردة، وازدياد التدهور الاقتصادي، وهذان العاملان اديا الى ازمة شرعية سياسية لمعظم النظم الحاكمة في افريقيا، كما ان البض الاخر من العوامل يعود الى البيئة الخارجية، حيث ادت التحولات في النظام الدولي مثل نهاية الحرب الباردة، وتفكك الاتحاد السوفياتي، والنزوع الدولي نحو الديمقراطية، وتبني القوى القوى الغربية لقضايا الديمقراطية وحقوق الانسان الدافع نحو التحول الديمقراطي، سواء من حيث الضغوط الخارجية او من خلال تاثير المحاكاة، واصبحت المساعدات الاقتصادية الغربية مقترنة باجراء تحولات ديمقراطية على اساس ان الفساد وسؤ نظم الحكم في تلك الدول ادى الى نشوء ازمات اقتصادية .ويسجل تقرير الامم المتحدة ان عدد الدول الافريقية التي اخذت بنظام سياسي يقوم على الانتخابات والتعددية بلغ ٢٩ بلدا من بين ٤٢ بلدا، ويسكن البلدان التي توجد فيها نظم تقوم الى الانتخابات ٤٦٤ مليون نسمة يمثلون ٧٧،٢% من سكان بلاد جنوب الصحراء[٣٩].

الى اننا نلاحظ بعد ذلك اخذت النظم الديمقراطية التي رأت النور تتخبط في مشاكل عديدة ، وعادت بعض الدكتاتوريات لتعشعش من جديد، وهذا ما اشار اليه التقرير السنوي لبرنامج الامم المتحدة لعام ٢٠٠٢ والذي لم يذكر افريقيا الا في اسؤ الحالات، حيث ذكر ان هناك ١٣ بلدا افريقيا تدخل فيه الجيش بالسياسة منذ عام ١٩٨٩ [٤٠]. ووصلت الديون الخارجية عام ١٩٩٩ م حوالي ٣٥٠ مليار دولار، وهو ما يوازي ثلاث

---

[٣٩] عبد العظيم محمود حنفي: النيباد والتحول الديمقراطي في افريقيا، الانترنيت، http;\\www.ahram.org.

[٤٠] نفس المصدر .

ارباع اجمالي الناتج القومي للقارة، وما يقارب من ٤ اضعاف صادراتها السنوية [٤١]، ناهيك عن وقوع الكثير من الحروب الاهلية في القارة الافريقية، فان ١٤ دولة من اجمالي ٥٣ دولة افريقية عانت نزاعات مسلحة عام ١٩٩٦م [٤٢]. هذا فضلا عن تشريد الملايين ما بين نازحين بالداخل ولاجئين في الخارج بلغ حوالي ٨ مليون افريقي اضافة الى ملايين آخريين من النازحين داخل دولهم.

ومن خلال ما تقدم، يتضح ان سياسات (المشروطية السياسية) و(المشروطية الاقتصادية) على افريقيا ادت الى نتائج كارثية على دول القارة، وقد تعرضت هذه السياسات الى العديد من الانتقادات اهمها:

- ان الديمقراطية والتعددية الحزبية جاءت لمطالب خارجية بالدرجة الاساس ، وليس لمطالب مجتمعية افريقية.

- ان تدخل الدول الخارجية وفرضها الديمقراطية على افريقيا كانت مجرد موجة للاستعمار الجديد تتزامن مع النظام العالمي الجديد احادي القطبية، وفي زمن العولمة. فالضغوط التي تمارسها الدول الكبرى من خلال مؤسساتها المالية، تعيد الذاكرة الى عصور الاستعمار وكل ما تغير ان الدول الاستعمارية قد غيرت من استراتيجيتها، فتبنت اساليب جديدة للوصول الى نفس الاهداف التي كانت تصل اليها عن طريق الاستعمار المباشر، ولكن باساليب اخرى غير الاحتلال العسكري[٤٣]، من خلال فرضها الديمقراطية واقتصاد السوق.

- وفيما يتعلق بتاثيربرامج التكييف الهيكلي التي فرضتها المؤسسات المالية الدولية فان بعض الحكومات التي طبقت تلك البرامج، اثبتت ان تلك النظم غالبا ما فقدت مساندة الجماهير، فبدلا من ان توفر تلك الحكومات قدرا اكبر من الاستقرار وتحقيق الامال والطموحات التي رسمتها الجماهير بعد سقوط الانظمة القديمة في تلك الدول، تفقد النظم الجديدة اساس شرعيتها نتيجة تطبيق هذه البرامج[٤٤].

- ان المصالح الامريكية ما زالت تعلو على اعتبارات الديمقراطية وحقوق الانسان ، فالولايات المتحدة مثلا لم تستطع فرض عقوبات اقتصادية صارمة على نيجيريا، لأنها من الدول الرئسية المصدرة للبترول للولايات المتحدة، كما تهدف

---

[٤١] رانيا حسين: خلفيات الحروب الاهلية في افريقيا، افريقيا في عالم متغير، الانترنيت

[٤٢] جميل مصعب محمود: العنف السياسي في افريقيا، مصدر سابق، ٨٥.

[٤٣] راوية توفيق: القوى الكبرى والمشروطية السياسية، افريقا في عالم متغير، الانترنيت.

[٤٤] نفس المصدر.

الاخيرة بالاساس في علاقتها مع افريقيا تحجيم النفوذ الاوربي، وخاصة الفرنسي من اجل الانفراد بالنفوذ بالقارة ومن اجل الحفاظ على الزعامة العالمية[٤٥].

- ان الدول الغربية بشكل عام وامريكا بشكل خاص، كانت وما زالت تضع مصالحها في المقام الاول عند التعامل مع قضية التحول الديمقراطي في القارة الافريقية، فلأنها بحاجه للدور النشط الذي قام به الرئيس موسيفيني في المنطقة، لم تمارس عليه ضغوط مكثفة لأدخال الاصلاحات السياسية، بينما مارست تلك الضغوط على النظام الكيني وغيره من النظم، وهو ما يعبر عن ازدواجية المعايير في التعامل مع قضية التحول الديمقراطي في القارة الافريقية[٤٦].

لذا يتضح ان عولمة الديمقراطية وهو ما تسعى اليه الدول الغربية الراسمالية، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية، في عولمة كل ما هو غربي وبالتحديد امريكي من التعددية الحزبية كاساس للديمقراطية الغربية، الى عولمة الراسمالية واقتصاد السوق، الى عولمة الثقافة الغربية وكل ذلك يخدم المصالح الغربية بالدرجة الاساس، وان فرض العولمة الديمقرطية والاقتصادية والثقافية يعني الغاء خصوصيات وحضارات وثقافات عالمية اخرى سواء العربية، الاسلامية، الصينية، الهندية، الافريقية.... الخ، وهذا سيؤدي الى صراع الحضارات، وليس حوار الحضارات، وهو ما يجب ان يكون، والوجه الاخر للحوار، هو لماذا يرفض الغرب ديمقراطية العولمة؟ ونقصد بذلك لماذا لاتترك الحرية للشعوب لتقرر مصيرها بنفسها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟[٤٧].

وهناك من يجد ان (الديمقراطية الشعبية المباشرة) هي الحل الامثل لمشاكل العالم، وهو ما تؤمن به الجماهيرية الليبية من منطلق (النظرية الثالثة)، والتي تقوم على المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، لاسيما بعد ان فشلت الديمقراطية الماركسية ، وكذلك بالنسبة للديمقراطية الليبرالية القائمة على النهب والغزو، وطبقا للنظرية الجماهيرية لايمكن تحقيق الديمقراطية الا باعادة السلطة للشعب[٤٨].

ربما هناك من يعتقد بان النظم السياسية الافريقية مجبلة على الاستبداد ولا تؤمن بالدمقراطية والتعددية الحزبية ولكن الواقع يخالف ذلك، ونعطي هنا بعض الامثلة على سبيل الحصر، فلقد عرفت القارة الافريقية نماذج الزعامات الابوية والتي تمتعت بكارزما قوية تتيح لها قدرا من الاستمرارية التلقائية ومواجهة ما تتعرض له من ازمات القيادة

---

[٤٥] نفس المصدر.

[٤٦] نفس المصدر.

[٤٧] محمد الفرجاني حصن: مصدر سابق، ١٧٥.

[٤٨] نفس المصدر، ص١٥٨ وما بعدها.

والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ومع ذلك فان هذه الزعامات فضلت في لحظات مناسبة لصالح استقرار مجتمعاتها ان تنسحب وتعتزل السلطة، وفي مقدمة هؤلاء، يأتي الرئيس الشاعر (ليوبولد سنكور) رئيس السنغال الاسبق الذي ترك مقعده في الدولة والحزب للرئيس (عبد ديوف) في الخامس من يناير ١٩٨١م. ومثله جاء نموذج الرئيس التنزاني (جوليوس نيريري) الذي اعلن في اوئل الثمانينات انه لن يرشح نفسه للحزب او الرئاسة مرة اخرى ، وصدق وعده في عام ١٩٨٥ ليخلفه (حسن موني) بعد انتخابه، ومن اجل ترضية الزنج باريين مصدر القلق المحتمل للبلاد. وقد اعتزل الرئيس الكميروني (احمد اهيدجو) من الرئاسة في نوفمبر ١٩٨٢، وهو الشمالي، الى الرئيس الجنوبي (تومبيا) والذي اعلن الفيدرالية لضمان التوازن السياسي في الكاميرون. وبالمثل كان تسليم رئيس زامبيا الاسبق (كينيث كاوندا) اوئل التسعينات الى الرئيس (تشيلوبا) بعد انتخابات حزبية وفوز الاخير في الانتخابات التي جرت عام ١٩٩١[٤٩].

هكذا نرى ان التنازل عن السلطة والاعتزال السياسي او ممارسة الحضور السياسي بوسائل اخرى (سنغور-نيريري-كاوندا-اوباسانجو) ليست ظواهر اوربية مطلقة، بل ان هناك نماذج (ديمقراطية ليبرالية) تكاد تكون مثالية في القارة، مثل حالة (بتسوانا) و(موريشيوس) في منطقة الجنوب الافريقي والمحيط الهندي. وعلينا ان لانسى اعتزال الرئيس (نيلسون مانديلا) لحزب المؤتمر الوطني الافريقي عام ١٩٩٩، ليتولى المنصب (ثابو مبيكي) وفق قواعد الانتخاب الحر، وان الجنرال (عبد السلام ابو بكر) ترك السلطة بعد انتخابات اجريت عام ٢٠٠٠[٥٠].

وعلى ضوء ما ذكر، يتضح ان الديمقراطية وتداول السلطة من المسائل المألوفة في القارة. اضافة لذلك ان وثيقة النيباد لعام ١٩٩٩ اكدت على ان التنمية يستحيل تحقيقها في غياب الديمقراطية الحقيقية واحترام حقوق الانسان والسلام والحكم الرشيد[٥١].

ويبقى السؤال المهم جدا اذا كانت الولا يات المتحدة الاميركية وقد جعلت الديمقراطية احد قيمها الاساسية والمركزية وتعمل على نشرها، فهل تسمح بمشاركة دولية حقيقية في صياغة نظام عالمي جديد حقا وديمقراطي صدقا؟ هذا هو السؤال التاريخي الذي على الولايات المتحدة ان تجيب عليه.

ومع هذا ان بأمكان الديمقراطية ان تساهم بفاعلية من اجل محاربة وازلة الحروب الاثنية التي ترزخ القارة تحت ثقلها وهناك حجج كثيرة تبرر هذه المقولة.

---

[٤٩] حلمي شعراوي: افريقيا نهاية قرن، دار الامين للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص٧٠

[٥٠] نفس المصدر السابق، ص٧١.

[٥١] عبد العظيم محمود حنفي: مصدر سابق.

نلاحظ ان الجوع يستشري في الاجزاء التي تعصف بها الحروب في القارة الافريقية، الحروب الاثنية، الحروب القبلية، ليس لهذه الحروب اي قاعدة ايديولوجية ولا ارضية دينية، انها نتيجة لعدالة صارخة وتقسيم الخيرات الوطنية، ان هذه الخيرات توزع بدون اي شفافية من قبل حاكم ما، ليس فقط على ابناء منطقته وانما على ابناء قبيلته واثنيته، ومع مرور الزمن وتطور وسائل الاتصالات ادركت الشعوب ان مشاكلهم وفقرهم هما نتيجة سوء الادارة والتوزيع غير العادل للخيرات التي ساهموا في انتاجها مع كل التضحيات التي يتطلبها ذلك. وفي غياب التداول الديمقراطي تندلع الحروب لتغيير هذه الانظمة بالقوة وهنا يكمن السبب في تعدد الانقلابات العسكرية والحروب القبلية والاهلية[٥٢]. التي كان من نتيجتها تدمير الحياة البشرية من نقص في الغذاء ومجاعات وتهجير سكان وزيادة استيراد الاسلحة الذي يفرغ خزينة الدولة ويرفع الدين الخارجي للبلاد، لذلك فالبديل هو الديمقراطية.

تحديات افريقيا في زمن العولمة:

بعد المتغيرات الدولية والقطبية الاحادية والعولمة، شهدت القارة الافريقية جملة تحديات، وعلى الافارقة مواجهتها في جدية تامة ونظرة مستقبلية ثاقبة واردة جماعية، لتخليص القارة من الفقر والجهل والمرض والصراعات المسلحة، الى واقع تسعى فيه الدول الى التنمية المستدامة، وسنحاول هنا رصد موجز لهذه التحديات الكبرى:[٥٣]

- تفعيل مؤسسات الاتحاد الافريقي، بوصفه وريثا شرعيا لمنظمة الوحدة الافريقية على جميع الصعد والمنصوص عليها في الميثاق التأسيسي، في المجالات التنفيذية والتشريعية والاقتصادية والفنية،علاوة على المجالات السياسية والامنية كتشكيل برلمان افريقي ومحكمة افريقية عليا وجيش افريقي لمواجهة الازمات.

- مكافحة الفقر المدقع الذي تعاني منه كثير من شعوب افريقيا جنوب الصحراء ، بالرغم من الموارد الهائلة التي تتمتع بها القارة ككل، وان العملة الافريقية الموحدة يمكنها ان تخلص افريقيا من انعكاس الديون الخارجية. والعمل الحثيث على الغاء الديون او على الاقل جدولتها بطريقة تتناسب وقدرة الدولة المدينة، وخفض اسعار الفائدة، وكل هذا يتطلب جهود جبارة وشاقة على المستويين الفردي والجماعي.

---

٥٢ تقولا اغبوهو، ترجمة لينا فرج: الفرنك واليورو ضد افريقيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ٢٠٠٠، ص٢٧١.

٥٣ عبد الوهاب جبار الله : افريقيا وتحديات العصر ، الانترنيت .

- وقف الحرب الاهلية والصراعات المسلحة في افريقا من اجل احلال السلام والاستقرار، لان القضاء على هذه الصراعات هو مفتاح الامن والاستقرار والتنمية والتخلص من مسببات الجنوح السياسي والفساد الاداي.

- الايمان بالديمقراطية قولا وفعلا والسماح بالتعددية الحزبية والتداول السلمي للسلطة، ولا يفوتنا ان نذكر ان العديد من الدول الافريقية تؤمن بالديمقراطية ولكن المطلوب هو تدعيم هذا التوجه.

- التخلص مما سماه بعض النشطين الافارقة مؤخرا، بأسلحة الدمار الشامل في افريقيا...! ويعنون بذلك الثلاثي المدمر المتمثل في مرض الايدز ومرض الملاريا ومرض السل الرئوي لان هذا الثالوث يحصدالالاف من البشر في القارة يوميا، ومن الضروري ان تتظافر الجهود العالمية، مع الجهود الافريقية لمكافحته والتصدي له.

- الانخراط الواعي في مسيرة التحولات العالمية الكبرى والاستفادة من ثورة المعلومات والاتصالات فأفريقيا قارة شاسعة لا يمكن لها ان تتحرك مؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية دون الانخراط والاستفادة من ثورة المعلومات والاتصالات.

الخاتمة

ان المتتبع لتاريخ التطور السياسي الافريقي، منذ اكتشاف القارة، وما تبعها من تجارة الرقيق واستعمارها بعد موتمر برلين ١٨٨٥، يتضح ان الشعوب الافريقية استخدمت عدة اليات للتخلص من الهيمنة الاستعمارية الاوربية، للحصول على حريتها واستقلالها.

وكانت الالية الاولى،هي استخدام القوة والعنف في مواجهة القوى الاستعمارية الاوربية الاستبدادية، والتي عملت على الاتجار بخيرات القارة وسكانها، والعمل على طمس هويتها والغاء كياناتها ومحاربة قيمها ودينها ، وقد تصدى لذلك القادة المسامون العرب بثورات وحركات مسلحة ، تركزت في شمال وشرق وجنوب القارة، وكان من ابرزهم عمر المختار، وعبد القادر الجزائري، واحمد عرابي، ومحمد المهدي، ورابح الزبير، وعثمان دان فوديو، ومحمد الامين الكانجي وغيرهم.

اما الالية الثانية، فقد استخدم الافارقة الحوار مع القوى الاستعمارية الاوربية، وكان قادة هذا التوجه هم في الاصل من سكان غرب افريقيا،والذين درسوا في الخارج، وتاثروا بالافكار الغربية، وعقدوا عدة مؤتمرات منذ عام ١٩٠٠ – ١٩٤٥، وكان هدفهم

ايصال الصوت الافريقي للعالم، وما يعانيه الافارقة –خارج افريقيا وداخلها–من اضطهاد وتميز عنصري من قبل القوى الاستعمارية الاوربية، منطلقين في كل ذلك من شعار الوحدة الافريقية، والقومية الافريقية، وافريقيا للافريقين. وكان لهذه المؤتمرات دورا فاعلا في استقلال الدول الافريقية في الستينات.

وكانت الالية الثالثة هو الحوار من قبل الافارقة بعد التسعينات في مواجهة العولمة وتداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، خاصة وان القوى الاوربية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، استخدمت المؤسسات المالية كأداة ضغط بفرض (المشروطية السياسية والاقتصادية). وبالفعل استجابت العديد من الدول الافريقية لتبني الديمقراطية وحقوق الانسان.

ولكن الذي يلاحظ بعد فترة من التطبيق ان شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان، التي فرضها الغرب كانت مجرد ادوات تستخدمها الدول الغربية خدمة لمصالحها الاستراتجية بالدرجة الاساس. فقد عمت الحروب الاهلية وتراجع النمو الاقتصادي الافريقي وساد حالة عدم الاستقرار السياسي في عموم القارة، وعادت الدكتاتوريات تعشعش في افريقيا من جديد. ان فرض (الاستنساخ السياسي والاقتصادي) من الغرب على الدول الافريقية يجب التعامل معه بشئ من الحذر والرؤية النقدية بما يخدم المصالح الافريقية بالدرجة الاساس، لا سيما وان القارة تواجه العديد من التحديات والتي يجب مواجهتها بشكل حازم، وهذا يتطلب ارادة سياسية واعية تؤمن بالديمقراطية والتعددية السياسية وتحترم حقوق الانسان، بما ويتناسب مع الخصوصية الافريقية وتحقيق طموحاتها في الاستقرار والتقدم.